



التحليل النفسي لأشعار الأسرى الفلسطينيين داخل المعتقلات الإسرائيلية

محمد إبراهيم عسليّة

جامعة الأقصى - غزة - فلسطين

asslea123@yahoo.com

Received: 09 Dec. 2014,

Revised: 11 Jan. 2015, Accepted: 30 Mar. 2015

Published online: 1 (May) 2015



التحليل النفسي لأشعار الأسرى الفلسطينيين داخل المعتقلات الإسرائيلية

محمد إبراهيم عسليّة
جامعة الأقصى - غزة - فلسطين

المُلخَص

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على شخصية الأسرى الفلسطينيين بالسجون الإسرائيلية، والتعرف على ما يعانونه من صراعات وأعراض مرضية من خلال التحليل النفسي لما يكتبونه من قصائد شعرية، وقد تكونت عينة الدراسة من تسع قصائد شعرية، وقد توصلت الدراسة إلى وجود الصراع الأوديبي بوضوح في أشعار الأسرى، والرغبة الجنسية بشكل رمزي، كما تظهر بعض الأعراض الهستيرية، وأخيراً تبدو مظاهر الاغتراب بأنواعه، ويغلب عليها الاغتراب العاطفي والمكاني ثم السياسي والاجتماعي والنفسي، وقد تبين استخدام الأسرى للعديد من الميكانزمات الدفاعية وأهمها: أحلام اليقظة، والتبرير، والنكوص، والإنكار... الخ.

الكلمات المفتاحية: التحليل النفسي، الأشعار، الأسرى الفلسطينيين، المعتقلات الإسرائيلية.



Psycho- Analysis to the Poems of the Palestinian Prisoners in Israeli Jails

Mohammed Ibrahim Asslea

Alaqa-University
Gaza Strip

Abstract

This current study aims at identifying the Palestinian prisoners personality in Israeli jails, and to be acquainted with their sufferings in terms of conflicts and illness symptoms throughout psycho- analysis of the poems they write. The study sample consisted of (9) poems. This study revealed the clear presence of oedepus conflict in the prisoners poems, as well as sexual desire in a symbolic manner, masochism is significantly manifested, some hysterical symptoms. Finally manifestations of alienation appears, and are dominated by different kinds of emotional, spatial, political, social, and psychological. Alienation use of the prisoners have been found for many of the most important defensive mechanisms, most among them are fantasy, justification, denial, and regression.

Keywords: Psycho- analysis, palestinian prisoners, Israeli jails, poems,

التحليل النفسي لأشعار الأسرى الفلسطينيين داخل المعتقلات الإسرائيلية

محمد إبراهيم عسليّة

جامعة الأقصى - غزة - فلسطين

مقدمة :

المجتمع الذي يعيش في ظروف موحدة، وفي فترة معينة من الزمان.^(٢)

ويجد التحليل النفسي في الإنتاج الأدبي ومنه الشعر بلاغة القلق، والأفكار الاستحواذية، واللذة، وانعدام اللذة، والقمع، والتذكر... الخ وهذه تشبه البلاغة شبيهاً كبيراً من حيث قدرتها على الربط بين هذه الأفكار أو الفصل بينها.

ويرى إسماعيل أن العلاقة بين الإنتاج الأدبي وعلم النفس لا تحتاج إلى إثبات، فعلم النفس يدرس النفس الإنسانية، وهي التي تصنع الإنتاج الأدبي، وكذلك يصنع الأدب علم النفس، فالنفس تجمع أطراف الحياة كي تصنع منها الأدب بأشكاله، والأدب يرتاد حقائق الحياة، ليضيء جوانب النفس، إنها دائرة لا يفترق طرفاها ليلقاها، والإنسان لا يعرف نفسه إلا حين يعرف للحياة معنى.^(٣)

والعلاقة بين علم النفس والأدب ممتدة الجذور في التراث الإنساني، وتظهر هذه العلاقة في موقف أفلاطون من الفنون والآداب، وأرسطو في نظرية التطهير، والواقع أن البداية الحقيقية لنضج علم النفس، وتطور علاقته بالأدب، كانت في النصف الأول من القرن العشرين، وقد أقر (فرويد) منذ البداية بأن الذين ألهموه نظرية في التحليل النفسي

لا شك أن في الإنتاج الأدبي شعراً كان، أم قصة، الكثير من الدلالات النفسية، ذلك أن مادة النص الأدبي سواء أكانت شعراً، أم نثراً، تُقتصر على الإنسان بصراعاته، واضطرابه، واغترابه، وحتى مرضه، ولا شك أن الخبرات المتراكمة في حياة الإنسان، تلعب دوراً هاماً في تكوين شخصيته، وفي طرق تعامله مع الواقع الخارجي.

من هنا فإن الإنتاج الأدبي لشعب من الشعوب، يمتاز بالعراقية، ويمكن بدراسته التعرف على الحياة الفكرية، والروحية، والأخلاقية، والاجتماعية، والتي تظهر مقدره فائقة على التعبير عن أدق المشاعر، والأحاسيس، مما كتب لهذا الإنتاج الانتشار والخلود، ومما جعله ينتقل من جيل إلى جيل.

ومن الطبيعي أن الإنسان لا يمكن أن يعيش في فراغ، فلا تمضي لحظة إلا وهو يمارس حياته على نحو من الاتجاه، فهو يفكر، ويعمل، ويفرح، ويحزن، ويستحسن، ويستهن، وينتقد، ويسخر، أو يمدح، وكما يقول^(١).

إن الإنتاج الأدبي خاصة الشعر، يؤثر في النفوس، لأنها تتفاعل به، فيُرضي فيها جانب الوجدان، واستثارة نوازع شعورية، كما أنه تعبير عن حاجات اجتماعية، وفتية، وروحية لأفراد

٢- محمد، عسليّة، الدلالات النفسية للخيال الرمزي في النص الأدبي من منظور التحليل النفسي، مجلة جامعة الأقصى، ج٢، ٢٠٠٦، ص٧٦.

٣- عز الدين، إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، القاهرة، مكتبة غريب للطباعة، ١٩٧٧، ص ١٠.

١- أحمد، صالح، الأدب الشعبي، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٨٥، ص ٣٢.

وتأتي الدراسة الحالية في^(٧) ذات السياق والتوجه باستخدام علم النفس خاصة التحليل النفسي في الأدب بأشكاله المختلفة.

مشكلة الدراسة :

لا شك في أن مما يميز شعب عن غيره، هو إنتاجه الأدبي والشعري، ومع كثرة الدراسات، وعلى اختلاف وجهات النظر، والمناهج، ما زالت هناك بعض التساؤلات قائمة حول الشخصية الفلسطينية، حيث إن الدراسات التي أجريت لم تحاول التعرف على العوامل النفسية التي تقف وراء شخصية الفلسطيني من خلال الإنتاج الأدبي، وخاصة الشعر الفلسطيني، ولما كان من الصعب إجراء دراسة على كل الإنتاج الأدبي لجميع أبناء الشعب الفلسطيني، أو حتى على عينة ممثلة له تمثيلاً صادقاً، فقد قام الباحث في الدراسة الحالية بإجراء هذه الدراسة على الإنتاج الشعري للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، والذي يأمل الباحث في أن يكون معبراً عن شخصيتهم وأصدق تعبير، والمشكلة التي واجهت الباحث هي كيفية تحليل هذه الأشعار تحليلًا نفسيًا سليمًا، ومن هنا وللتغلب على هذه المشكلة، كان لا بد من التدريب على قراءة وفهم الأعمال الفنية والأدبية التي حللها محللين نفسيين رواد على المستوى العربي ومنهم: مصطفى سوييف، وفرج أحمد فرج، ومصطفى حنورة، ويحيى الرخاوي، ومحمد عبد الوهاب، وعزالدين إسماعيل، وغيرهم الأمر الذي ساعد الباحث على تحليل أشعار الأسرى الفلسطينيين، وقد واجه الباحث مشكلة تالفة هي اختيار الأشعار التي سيقوم بتحليلها، لأنها كثيرة جداً، ومن هنا تم اختيار تسع قصائد شعرية، وبناء على ما سبق تبلورت مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

١- هل تكشف أشعار الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية عن مدى ما يعانونه من صراعات وأعراض مرضية؟

٧-صلاح، عجينة، سيكولوجية الأدب، الواقع والمآهة، الرياض، صحيفة المرصد الإعلامي الحر، ٥٥٤، ٢٠٠٧، ص٤-٤.

هم الفلاسفة والشعراء والفنانون، والفنان حسب رأي فرويد، إنسان عصابي أقرب إلى الجنون لحظة العملية الإبداعية، وبعد الفراغ منها يعود إلى حالته السوية، ويرى (أدلر) أن الباعث الأساسي على الفن هو غريزة حب الظهور، أو حب السيطرة والتملك، بينما يرى (يونج) أن اللاشعور الجمعي هو المنبع الأساسي للأعمال الأدبية والفنية، والبوقة التي تصهر فيها كل النماذج البدائية، والرواسب القديمة والتراكمات الموروثة، والأفكار الأولى.^(٤)

ولقد اهتم العديد من العلماء والباحثين بالبحث في موضوع العلاقة بين علم النفس والأدب، فمنذ القدم قدم أرسطو مفهوم التطهير في حديثه عن أثر المساة في الجمهور، كما قام (سوييف) في كتابه الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، بتحليل نفسي لبعض قصائد الشاعر عبد الرحمن الشرفاوي^(٥) وقد ظهر اتجاه جديد يختص بتحليل الأعمال الأدبية تحليلًا نفسيًا، وبداية الدعوة لهذا الاتجاه كانت على يد جماعة من الأساتذة الأكاديميين ومنهم: محمد خلف الله أحمد في كتابه من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونفده، وأمين الخولي الذي نشر بحثًا بعنوان (البلاغة وعلم النفس)، وقد أدخل أحمد أمين مادة علم النفس الأدبي ضمن مواد تعليم الدراسات العليا بجامعة القاهرة، وحامد عبد القادر في كتابه (دراسات في علم النفس الأدبي)، وعز الدين إسماعيل والذي يعد أفضل من طبق علم النفس على الأعمال الأدبية لتفسيرها تفسيرًا نفسيًا، وقام بتحليل قصيدة (ثنائية ريفية) للشاعر عبده بدوي، ويحيى الرخاوي الذي قام بتحليل رباعيات صلاح جاهين.^(٦)

٤-حسين، سرمك حسن، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد، الرياض، جريدة الاتحاد، ٢٠٠٧، ص٢.

٥- محمد، عسيلية، الدلالات النفسية للخيال الرمزي في النص الأدبي من منظور التحليل النفسي، ص٢.

٦- حسين، سرمك حسن، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد، ٢٠٠٧، ص٢.

الشعر: كما يعرفه طه حسين أنه كلام مقيد بالوزن والقافية.

منهج الدراسة :

اتبع الباحث منهج التحليل النفسي.

عينة الدراسة :

تتمثل عينة الدراسة في تسع قصائد شعرية مدونة في كتاب رياحين بين مفاصل الصخر.

الإطار النظري:

لا شك أن مجال علم النفس والأدب ما زال مجالاً خصباً للدراسات النفسية، وحركة التطور في علم النفس، واتساع حدوده، تقتضي الاهتمام بسلوكيات الأدب، وعلم نفس الأدب يتجه نحو دراسة نفسية للمبدع، وعملية الإبداع المنتجة للنص لديه، ونفس الفنان المجسدة للنص إنما هي مركز شعور إنساني، تبدأ منذ الطفولة، والعلاقة بين علم النفس والأدب علاقة تاريخية، من ذلك دراسات ابن سينا في الصور الذهنية والخيال والإبداع، ودراسات العقاد، ومصطفى الرافعي في سيكولوجية الأدب، وعقدة أوديب لسوفوكليس، وهاملت لشكسبير، وغيرهم تناقش قضايا نفسية في غاية الأهمية، والمتتبع لدراسات علم النفس في مجال سيكولوجيا الأدب سواء في مجال الإبداع الشعري، أو في مجال القصة القصيرة، أو الرواية، أو الدراما التليفزيونية وغير ذلك، يبرز لديه أن التحليل النفسي لعب دوراً هاماً في تلك الدراسات، إذ تبرز بصماته الواضحة التي تؤكد على ارتباط الدراسات النفسية في مجال الأدب في ضوء نظرية التحليل النفسي دون غيرها.^(٨)

وليس من شك في أن التداخل الحميم بين علم النفس والأدب، قد أثمر عن العديد من الدراسات التي تقوم على التحليل النفسي للنص الأدبي، وخاصة الإبداع الفني في مجال الشعر، والشعر مهما تعددت مفاهيمه، فهو سلوك إنساني يختص به بعض البشر، ومن ثم كانت حتمية تعرض التحليلات النفسية له، وقد تعددت التحليلات

٨- صلاح، عجيبة، سيكولوجية الأدب، الواقع والمآلة، الرياض، صحيفة المرصد الإعلامي الحر، ٥٥٤، ٢٠٠٧، ص ١-٤.

٢- هل يمكن أن نعتبر الشعر تخفيفاً لما يعانيه الأسرى من صراعات وأعراض مرضية من وجهة نظر التحليل النفسي؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على شخصية الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، والتعرف على ما يعانيه من صراعات وأعراض مرضية من خلال التحليل النفسي لما يكتبونه من قصائد شعرية.

أهمية الدراسة :

تظهر أهمية الدراسة الحالية في الموضوع الذي تتصدى لدراسته، حيث إنها تتناول التحليل النفسي لأشعار الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، ذلك أن الأدب، وعلم النفس منهجان متوازنان وليسا متداخلين، ومن ثم تظهر أهمية الدراسة الحالية في إنها توضح أن الأدب ميدان سليم يمكن أن تستغل فيه نتائج الدراسات النفسية، كما تكمن أهمية هذه الدراسة في الكشف عن العواطف والمشاعر المكبوتة في أعماق النفس البشرية، خاصة لدى شريحة الأسرى الفلسطينيين، وهي شريحة يجب الاهتمام بها، والحفاظ عليها بكل وسيلة، وتظهر أهمية الدراسة أيضاً في أن التحليل النفسي لشعر الأسرى، يساعد في معرفة البناء الفني للقصيدة ودراسة عباراتها، وصورها، وموسيقاها، وأفكارها، وتركيباتها اللغوية، والعواطف الموجودة بها، وعلاقة كل ذلك ببعضه البعض، وربطه بالظروف المحيطة، كل ما سبق يساعد الأخصائي النفسي والمهتم بالإرشاد والعلاج النفسي، في الكشف عما يعانيه الأسرى من صراعات، والكشف عن الكثير من الأعراض المرضية التي يعانون منها، ومن ثم وضع البرامج الإرشادية والعلاجية المناسبة لهم كل حسب حالته، لإعادتهم إلى الحياة المنتجة الفعالة من جديد.

مصطلحات الدراسة :

التحليل النفسي: يعرّف بأنه طرائق تقنية لدراسة العمليات النفسية اللاشعورية.

التي تعبر عنها تلك الرموز، وترى المدرسة الرمزية أن العالم ليس سوى مجموعة من الطلاسم، ودنيا تخلقها المخيلة الجبارة، لا الملاحظة العابرة، ولذا عكف الرمزيون على الغوص في أعماق النفس الإنسانية، ومعالجة الحياة الباطنية للإنسان عن طريق المخيلة، واهتموا بالرمزية التي تقوم بتسجيل المشاعر والتأملات الفردية، فالشعر الرمزي كالحلم الخفي يخاطب العاطفة ولا يأبه للعقل مطلقاً، لذا كان السر في جمال الشعر الرمزي، هو طابع الغموض الذي يكتنفه، ومن ثم اهتم الرمزيون بالنفس أكثر من اهتمامهم بالطابع الإنساني، والأدب الرمزي محاولة من الأديب للإفصاح عن العواطف المكبوتة في أعماق النفس البشرية.^(١١)

وليست المدرسة الرمزية وحدها التي تقول بأن الشعر المعاصر هو كلام الرموز، فهناك التحليل النفسي الذي جدد إشكالية الرمز، عندما جاء بمفاتيح جديدة لتفسير الطروحات الرمزية، وهذا التحليل هو الذي خلق النقد الأدبي القائم على اكتشاف شبكة من الصور التي تعود مضامينها المشفرة إلى اللاوعي^(١٢) والرمزية من منظور التحليل النفسي بمعناها الواسع أسلوب من التصوير غير المباشر، والمجازي لفكرة، أو صراع، أو رغبة لا واعية.^(١٣)

والرمز عند فرويد تمثيلاً لمواد لا شعورية مكبوتة في العادة، فالحلم على سبيل المثال ليس سوى تعبير عن رغبة أو نزعة لم يتم الإفصاح عنها، والواقع أن الخيال الرمزي يغلب على الشعر أكثر من غلبته على النثر.^(١٤)

وتشعبت إلى حد التناقض أحياناً، إذ أن عملية الإبداع الفني في الشعر تتحدد في محورين: يختص أحدهما بكون الشاعر شاعراً، ويختص الآخر بالعمل الإبداعي وملايسات تكوينه، والمحوران معا اختصاص أصيل للدراسات النفسية، وقد أشار إليهما يونج بقوله: ومن الواضح أن علم النفس من حيث هو دراسة للعمليات النفسية يمكن أن يدرس الأدب، ما دامت النفس البشرية هي الرحم الذي تتكون فيه شتى مبدعات العلم والفن.^(٩)

وقد أوضح هانز ساكس العلاقة بين الفنان والعمل الفني على الأسس الفرويدية نفسها، وانتهى إلى أن القصيدة التي ينظمها الشاعر، ما هي إلا حلم يقظة اجتماعي، قد يحوي عنصراً مؤلماً في الظاهر، إلا أن هذه الأحلام تساعد في الخلاص من الألم، فهي تبيح لذة بشكل غير مباشر يستمتع به أكثر من شخص، وفكرة التخلص من الألم شبيهة بفكرة الكاثرسيس أو التطهير، التي قال بها أرسطو، باعتبار أنها المهمة التي يسعى الفن إلى تحقيقها.^(١٠)

والتأمل في فن الشعر يجد فيه فصلاً بين الكلمة واللغة، ولكليهما تقاليدهما في الفكر المرتبط بالشعر، فالشعر هو قرار أن تكون من خلال الكلمة، أما اللغة فإنها تركز للاتصال بالناس، وبحكم طبيعتها لا وجود لها إلا بينهم، فاللغة مجرد أداة تمنح للشيء اسماً، ومن زاوية أخرى فالفارق بين الكلمة واللغة، هو فارق بين الرمز والإشارة، فالرمز يملك صفات الكلمة، وأساس الرمز هو تلك الرابطة الخصوصية بين الاسم والمسمى، فعلى الرغم من وجود الرمز في داخل منطقة الاتصال البشري، إلا أن له وظيفة أخرى، وهي التعبير عن مضمون ما، وليس طرح مضمون ما، والرموز لا تملك طابعاً نسقياً، فهي قد تخضع للتصنيف والترتيب في نماذج، كأن تكون رموزاً تتحدث عن الحب تارةً، وعن الموت تارةً أخرى، إلا أن هذه ليست عملية تصنيف للرموز، بل للتجارب

٩- عبد، بلبع، العد النفسي لمنشأ الطبع والتكلف في الشعر، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٠-١٨.

١٠- مصطفى، سوييف، الأسس النفسية للإبداع الفني، ط٢، القاهرة، دار الأندلس للطباعة والتوزيع، ١٩٥٩، ص ٢٧.

١١- محمد، خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٥، ص ١٦٦.

١٢- عدنان، المبارك، نيتشه: إدراك العالم بالرموز شرط الفن العظيم، جريدة الزمان، ع ١٢٩٣، ٢٠٠٢، ص ١-٤.

١٣- محمد، سويتري، اللعبة ودلالاتها، الكويت، مجلة عالم الفكر، ٢٨، ٢٤، ٢٠٠٠، ص ٦٤.

١٤- أمال، حامد، الزار: دراسة سيكوفسيولوجية، الرمزية من منظور التحليل النفسي، السودان، مجلة الأبحاث والأنثروبولوجيا، ٢٠٠٥، ص ١.

على الأدب، والفن، والدين، والأساطير، وعلم الاجتماع، والأدب الشعبي، وفن التحليل النفسي يتناول دائماً العلاقات التي تربط بين الأشخاص بعضهم ببعض، وبوجه خاص فإن التحليل النفسي يكاد يكون هو الفن الوحيد لدراسة العمليات اللاشعورية.^(١٨)

الدراسات السابقة:

لم يقع الباحث على دراسات محلية في هذا الموضوع، والدراسات التي تناولت التحليل للشعر نادرة، وبالتالي سوف يعرض الباحث لبعض الدراسات التي تناولت التحليل النفسي وعلاقته بالأدب، ومنها دراسة فرج ١٩٨٢م بعنوان التحليل النفسي للأدب، وتناول فيها دراسة لمحتوى قصة ليلي والذئب، ودراسة أخرى ١٩٨٢م بعنوان التحليل النفسي والقصة القصيرة، ودراسة حنوره^(١٩) ١٩٨٢م بعنوان الدراسة النفسية للإبداع الفني منهج وتطبيق، ودراسة عصام بهي ١٩٩١م بعنوان الاتجاه النفسي في دراسة الأدب ونقده^(٢٠)، ودراسة جان بيلمان نوبل ١٩٧٨م بعنوان التحليل النفسي والأدب وقام بترجمتها إلى العربية المودن ١٩٩٧م وانتهى إلى تقديم منهج جديد في النقد النفسي سماه التحليل النصي، الذي يسمح بالانتقال من الاهتمام بمؤلف العمل الإبداعي، إلى تركيز النظر على العمل الأدبي نفسه، كما أوضح أن هناك علاقة حميمة بين التحليل النفسي والأدب،^(٢١) ودراسة بيير بيار ٢٠٠٤م بعنوان هل يمكن تطبيق الأدب على التحليل النفسي، ودراسة سوييف بعنوان الأسس النفسية للإبداع الفني، حيث رسم من خلاله اتجاهاته المنهجية، والمعايير التي تقيم وزناً مؤثراً للعوامل الخارجية، عبر

وترى الكردي أن التحليل النفسي منهج وحرفيات وأدوات يستخدمها المتخصصون في اختراق جدار الغموض المحيط بالنفس، فالتحليل النفسي يقوم بصفة خاصة على أساس معرفة الذات، وفي الوقت نفسه على القدرة على التعيين الذاتي بالآخرين^(١٥).

ويؤكد فرج على أن التحليل النفسي يتصدى لدراسة الإنسان، والتعرف عليه من حيث هو وجود واع في علاقة بآخر، وأن هذا الوجود هو وجود في الآخر وبالآخر^(١٦).

وترى فريال فرج أن التحليل النفسي في نهاية الأمر علم خاص يتعمق في البحث في الحياة النفسية، وفي أعماقها السحيقة، سواء في تاريخها القريب، أو البعيد، بهدف فهم وتفسير الظواهر السلوكية التي تصدر عنها، وباكتشاف ما تخضع له من قوانين، أما منهجه في البحث فهو أساساً عملية التداوي الحر بإزاء هفوات الفرد، وأحلامه، وأعراضه، وسلوكه، وتحويله الذي يقوم به إزاء المحلل، ويفسر كل ذلك، ولقد مكن هذا المنهج في دراسة الظاهرة النفسية من اكتشاف اللاشعور ولغته، والكبت وآثاره، والمقاومة ووظيفتها، والصراع الدائر داخل النفس بين دوافعها المتناقضة وكيفية حله عن طريق ما يعرف بحلول التسوية، التي ترضي كافة الأطراف الداخلة في الصراع، كلا بحسب قوته، فالتحليل النفسي يقدم نظرية كلية شاملة في الإنسان-^(١٧) وينحصر التحليل النفسي التطبيقي بوجه خاص في تطبيق التحليل النفسي على العلوم الإنسانية، وعلى أحوال الإنسان في سوائه ومرضه دون مباشرة عملية تحليلية بالمعنى الصحيح، ودون الحصول على المادة التي يظهرها التحليل النفسي المباشر، وقد طبق فرويد نظرية التحليل النفسي

١٥- مها، الكردي، تطور مفهوم الرمزية، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٧، ص ٢٦.
١٦- فرج، أحمد فرج، التحليل النفسي للأدب، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٩٠، ص ١٩.
١٧- فريال، فرج، في التحليل النفسي للأساطير، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٤، ص ١٨.

١٨- محمد، عبد الوهاب، التحليل النفسي للأدب الشعبي، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٩٢، ص ٢٨.
١٩- مصري، حنوره، الدراسات النفسية للإبداع الفني، القاهرة، مجلة فصول، ع ٢٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص ٣٦-٥٠.
٢٠- عصام، بهي، اتجاهات النقد العربي الحديث، القاهرة، مجلة فصول، ع ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١، ص ١٣٢-١٤٨.
٢١- جان، بيلمان نوبل، التحليل النفسي والأدب، ترجمة: حسن المودن، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧.

ما القضيان ما الإنسان

لزرعت في عيني دالية

وفي شفتي للذكرى قرنفة

وفي عيني بساتين الفرح

لو تعلمين يا أريج

لأخذتني تحت جفك

ثم طرت إلى البريج

لو تعلم الدمعات أن خليجها فرحي

لما سالت على خديك

وارتعشت على شفتي

إني أنتظرك يا أريج

وكانت اللحظات تدعسني

وتبطن كلما اشتعل اشتياقي

بالنظر إلى الأبيات السابقة يتبين أن هناك صراعاً داخلياً يثور في نفس الأسير، صراعاً يملأ نفسه بالحيرة والتعجب والتساؤل، فالأسير كأى إنسان لديه رغبة قوية في البقاء، ومواصلة معركة الوجود، فإذا لم يعبر عن صراعاته بالتنفيس والتعبير بالكلام، فيكون المرض، ومن هنا كان دور الإنتاج الشعري في التنفيس عما يعتل بداخل الأسير من صراعات، والصراع الذي يعيشه الأسير هو صراع داخلي عنيف، صراع بين حنينه إلى أهله، وبين رغبته في تحطيم القيود التي تحيط به.

ومما لا شك فيه أن السجن يسعى لفرض ما يريد على الأسير مستعينا بكل تلك الآلة التي يستخدمها من سلاح وأبواب وأقفال وجدران، لكي يصل بالسجين إلى حالة من اليأس يفقد فيها الأمل بالنصر والتغلب على السجنان^(٢٢) فالسجان يبذل كل جهده في بث الرعب وإثارة الخوف في نفوس الأسرى، وهذا أمر طبيعي أن يعاني الأسير من سجنانه، فالسجان صهيوني تتفاعل في قلبه

٢٢-فايز، أبو شمالة، رياحين بين مفاصل الصخر، غزة، جمعية الأسرى والمحربين، ٢٠٠٢، ص ١٢٨.

تحديد الإطار المرجعي لقيمة الفنان وإنتاجه، وقد أكد على مجموع العوامل التي تؤثر في اتجاه وشدة إنتاج الفنان، سواء أكانت هذه العوامل شعورية، أم لاشعورية، ودراسة عزالدين إسماعيل بعنوان منهج التحليل النفسي وعلاقته بالفن في كتابه التفسير النفسي للأدب، حيث أوضح أنه من خلال الدراسات النفسية، والتحليل النفسي يمكن أن نعرف الشيء الكثير عن الفنان، وإن كنا لا نعرف عنه كل شيء، كما قام بتحليل قصة السراب لنجيب محفوظ.

مما سبق يتضح أن العلاقة بين التحليل النفسي والإنتاج الأدبي والفني موضع اهتمام العديد من علماء النفس والباحث، وقد زودت تلك الدراسات الباحث بمعرفة جيدة في تناول موضوع الشعر لدى الأسرى في الدراسة الحالية، ومما يميز هذه الدراسة عن غيرها موضوعها الذي يتناول الشعر لدى الأسرى في المعتقلات الإسرائيلية.

فروض الدراسة :

١- تكشف أشعار الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية عن مدى ما يعانونه من صراعات وأعراض مرضية.

٢- يمكن اعتبار الشعر تخفيفاً لما يعانيه الأسرى من صراعات وأعراض مرضية من وجهة نظر التحليل النفسي.

نتائج الدراسة :

أولاً : نتائج التحقق من الفرض الأول والذي ينص على ما يلي:

- تكشف أشعار الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية عن مدى ما يعانونه من صراعات وأعراض مرضية، وللتحقق من صحة الفرض قام الباحث بتحليل النصوص الشعرية التالية:

النص الأول: محمود الغرباوي

لو تعلمين لما بكيت على يدي

لو تعلمين ما السجن ما السجنان

ذلك يقول جميل بثينة (لقد ذرفت عيني وطلال
سقومها... وأصبح من نفسي سقيما صحيحها).^(٢٤)

ويعد البكاء أحد الوسائل التي يلجأ إليها
الأسرى في أشعارهم لتخفيف حدة التوتر الذي
يلزم حياتهم، نتيجة المعاناة والحرمان في الأسر،
والبكاء هنا في أغلبه للتعبير عن مشاعر الحسرة
والحزن والشعور بالوحدة، بسبب البعد عن الأهل
والوطن، ويؤيد ذلك كثير من الشعراء منهم عبد
الله بن همام السلولي بقوله (بكت العشيبة إذ
فارقوك... لألفك فيهم وأوطانك) وتأتي الدموع
للتعبير عن الحزن والألم الشديد، ويتفق ذلك مع
قول يزيد بن مفرغ (فلم أملك دموع العين مني...
ولا النفس التي جاشت مرارا) ويظهر مدى شوق
الأسير إلى أهله ووطنه في قوله: وتبطنى كلما اشتعل
اشتياقي، وهذا يتفق مع قول يزيد (فعدت لها
العشاء فعاد شوقي... وذكرني المنازل والديار)^(٢٥)

النص الثاني: كمال غنيم

أمي ناديتك يا أمي
والسلك الشائك يجرحني
قد كنت هناك على لهف
ودموع عينيك تذبحني
وفؤادك يقطر تحنانا
وفؤادي يقتله شجني
أمي ناديتك محموما
ويداك تلوح في وهن
فالقيد يكبلني قسرا
وذئاب حولي تنهشني
أمي رحماك فلا تبكي

٢٤- حسن، نصار، ديوان جميل شاعر الحب العذري، القاهرة،
مكتبة مصر، ط٢، ١٩٦٧، ٢٥.
٢٥- داود، سلوم، يزيد بن مفرغ الحميري، شعره، بغداد، مطبعة
الإيمان، ١٩٦٨، ص٢١.

مشاعر الحقد الدفين، ويتحين الفرصة للإيقاع
بكل فلسطيني، فكانت السجون مناخا جيدا
للانتقام والتشفي من المناضلين الفلسطينيين، لذا
كانت شكاوى الأسرى من معاملة السجناء السيئة
والوحشية، كالاختقار، والإذلال، ووسائل التعذيب
والقمع والحرمان، بالتالي فقد كانت مشاعر القلق
والياس تتسرب إلى نفوس الأسرى، هذه المشاعر
بما يصاحبها من خوف دفين من بطش السجناء،
أوجدت حالة من الحزن والاكتئاب لدى الأسير،
وذلك كل ذلك يتبين من قول الشاعر لو تعلمين
ما السجن ما السجن، وتتفق نتائج هذه الدراسة
مع نتائج دراسة لونه ياكونس ١٩٩٢ والتي أشارت
إلى أن من الحقائق المزعجة أن الغرض من
التعذيب في المعتقلات هو تدمير الإنسان، وتحطيم
شخصيته، لنشر الخوف والرعب في كل أوساط
المعتقلين والمجتمع بأسره، ويتبين من التحليل لهذه
القصيدة أن الأسير يعاني من صراع أوديبى يظهر
في تعلق الأسير بابنته التي يناجها في أشعاره،
ويوضح برونو بتلهام أن هناك نوعين من الصراع
الأوديبى: النوع الأول أسماء العلاقة (الوالدان
- الطفل) والنوع الثاني هو العلاقة (الطفل -
الوالدان) ثم يؤكد أن العلاقة (الوالدان-الطفل)
مليئة بالمشاكل، حيث إنها قد تنتهي بمأساة، وحل
هذه المأساة بالنسبة للأسير يكون بخروجه من
السجن وبالتالي تعود له الحياة من جديد^(٢٢)

كذلك يتبين من التحليل أن الأسير يعاني من
الاغتراب المكاني، والاعتراب العاطفي، حيث
يتمنى أن يعود إلى بلده (البريج)، فهو يعاني من
المكان الجديد الذي يوجد فيه، ولم يعد قادرا على
تقبله أو التكيف معه، يشعر بأنه انتزع من وطنه إلى
مكان لا صديق ولا أنيس له فيه، ويظهر الاغتراب
العاطفي من خلال الكلمات التي ساقها الأسير في
قصيدته مثل (العين، البكاء، الحنين، الدموع)
فالعين عضو من أعضاء الإنسان ترد في شعر
الاغتراب في سياق الدلالة على البكاء، ولتوضيح

٢٢- محمد، عبد الوهاب، التحليل النفسي للأدب الشعبي، ٢٥٥.

في تحمل العذاب والألم كقرين للبطولة التي تتحقق عند مواجهة الأعداء، ومع ذلك فتبدو لدى الأسير قدرة الصبر على الكوارث والبلوى والمصائب، وهذه ليست قوة، بل لا تعدو أن تكون ميكانزما دفاعيا سلبيا لا يبدو فيه أثر للمقاومة، وإنكار لما يعانيه الأسير من الألم ولما يشعر به بداخله من ضعف، حيث إنه يوجد في مكان لا حول له ولا قوة فيه، ويظهر ذلك في قول الأسير (ودعي الأحزان لمن ضعفوا فغدا ستعود جحافلنا وترغد بأركان الوطن)

النص الثالث: سمير القنطار

آه يا أمي وأنت الشمس في قلبي

وأفاس الصبح

آه يا زغرودة الفجر المدوي

من أخايد الجراح

رغم طول القمع والتنكيل خاصمت دموع اليأس

خاصمت النواح

رغم أوراق الخريف الهائمات

ما ضللت الصبح يا أمي

ومن عينيك ما خف وميض الانشراح

إنها روح الكفاح

يتبين من تحليل الأبيات السابقة تعلق الأسير بأمه، مما يعني وجود مشاعر أوديبية لدى الأسير، فالأم بالنسبة للأسير قرة للنفس، وطمأنينة للفرد، ومتعة للنظر، ورغبة الأسير وأمنيته في العودة إلى حضن أمه واضحة، حيث الماضي السعيد، فهي كالشمس تثير له طريقة وتهديه إلى السبيل الصحيح، وبالطبع فإن هذا الحنين إلى الأم ليس إلا محاولة للتحري من وطأة وقسوة الحاضر.

كما يبدو أن الأسير يعاني من الاغتراب العاطفي، والاجتماعي، وتبدو مظاهر الاغتراب في مشاعر الحسرة والألم التي يعاني منها الأسير، والتي تؤكد ضعف الانتماء لهذا المكان الجديد،

أمي فبكاء يعذبني

ودعي الأحزان لمن ضعفوا

فغدا ستعود جحافلنا

وتزغرد بأركان الوطن

بالنظر إلى الأبيات السابقة يتبين أن أكثر الكلمات تكرارا هي كلمة (أمي)، حيث تكررت خمس مرات، وللتكرار دلالاته النفسية، حيث يتبين من التحليل لهذه الأبيات الشعرية رغبة جارفة من الأسير في العودة إلى المرحلة التي كان فيها متعلقا بأمه، التي كانت تلبي له جميع رغباته، فالمرء لا يزال في حنين إلى العودة إلى حضن أمه، وهذا دليل المشاعر الأوديبية في أعماق النفس بهذه الدنيا، فالأمومة هي الفردوس الذي ينعم الفرد فيه بسعادته منذ أن كان في أحشائها، ثم رضيعا على صدرها، ثم صبيا على أحضانها، ثم يتعرض إلى انتكاسات كثيرة بمقدار حرمانه منها، هذه المشاعر الأوديبية تظهر لمن يتعلق بأمه، حيث إن تأثير الأم في الطفل أشد من تأثير الأب، ويتبين من التحليل ظهور رغبة الهو لدى الأسير في الارتقاء بحضن الأم، لكن يأتي عقاب الأنا للهو على تصرفها من منطلق مبدأ اللذة، حيث يقول: (السلك الشائك يجرحني) كما تظهر لدى الأسير بعض مظاهر المازوخية في الكلمات (تذبحني، يجرحني، يقتله شجني، محموما، يكبلني ذئاب تنهشني) وهذه المظاهر المازوخية قد تمنع الأسير من ممارسة دوره الفكري بصورة سوية، فالمازوخية إشباع مرتبط بالعذاب والألم الذي يلحق بالشخص، وي طرح فرويد في كتابه (المشكلة الاقتصادية في المازوخية) فكرتين تقليديتين هما: المازوخية الأولية وهي الحالة التي لا تزال فيها نزوة الموت موجهة نحو الشخص ذاته، ولكنها مربوطة مع اللبيدو ومتحدة معه، والمازوخية الثانوية وتتحدد على أنها ارتداد للسادية ضد الشخص ذاته وتضاف إلى المازوخية الأولية^(٢٦) وقد جاءت المازوخية هنا بالتعبير اللفظي من خلال إبداع الأسير في أشعاره التي تظهر بطولته

٢٦- محمد، عبد الوهاب، التحليل النفسي للأدب الشعبي، ٢٢٢.

لك الإيلام أو يوما تجني
ولا أرضى بأن يهتز غصن
من اللبلاب أو يلقي بغصني
ولكن يا رسول الحب هذا
ظلام منك والظلمى تجني
أبا العبرات نوصل ما قطعنا
وبالأغلال تزهب روح فني
أبا الأشعار تندثر المآسي
كما الغيمات عنك ثم عني

يبدو أن الأسير يعيش حالة من الصراع الداخلي بكل قوته، هذا الصراع يجعله غير متوازن إلى حد بعيد، فهو يحس أن ذاته محملة بخبرات كثيرة، ويشعر بثورة داخلية، إذ يمتلئ وجدانه بما يريد أن يفصح عنه، وليس لديه كما يبدو حد فاصل إما للتفاؤل وإما للتشاؤم، مما يوجد حالة من القلق لدى الأسير، هذا القلق هو الثقل المتذبذب الذي يحرك كفتي الميزان، بحيث تميل إحدهما إما إلى التفاؤل، أو إلى التشاؤم، وتكرر هذه النوبات، مما يوقع الأسير في حالة من الاكتئاب، ومما يزيد من حالة الاكتئاب لدى الأسير شعوره بقلّة الحيلة، وفقدان المعنى، الأمر الذي يجعله مستسلما لما ينتظره من مصير مجهول، فالأسير يبتلع أحزانه في صمت، فهو حزين ويريد أن يبكي من شدة الحزن، لكن كبرياءه يمنعه من البكاء بشكل مسموع، فيحبس بكاءه في صدره، مما يزيد من شعوره بالاكتئاب.

النص الخامس معاذ الحفني

لا نرجسا فوق السطوح السمر
يهزأ بالرحيل
لا رقرقات الماء
لا بحرا من العشب الجميل
لا زهرة غراء تحلم بالخلود
لا وردة حمراء

والعجز عن التكيف فيه، وخاصة تحت ضغط السجناء الصهاينة، فالظروف البيئية المحيطة بالأسير، والتغيرات الجذرية التي أصبح يعيشها تزيد من عوامل اغترابه.

وتقول بشير أن هناك أسبابا ذاتية، وأسبابا موضوعية تؤدي إلى الاغتراب، وترجع الأسباب الذاتية إلى عوامل نفسية، وإلى ما يحدث من تشويه أو تحريف في نمو الفرد، أما الأسباب الموضوعية فهي العوامل الاجتماعية، فالشاب المغترب فاقد للشعور بالهوية، وبالتالي لا يعرف هدفه، ولا اتجاهه في الحياة، مما يؤدي إلى أن يرى نفسه مضطربا ومتشائما، كما لا يثق بنفسه، ولا بالآخرين، ويشعر بعجزه على التغلب على مشكلات الحياة.^(٢٧)

ويتفق علماء النفس على أن من مظاهر الاغتراب الشعور السائد بالإثم والحزن واليأس والعجز والعزلة الاجتماعية، ويتميز المغترب بالقلق والاكتئاب مع إحساس باللاواقعية والفراغ والفسل والسخط وعدم الفاعلية في الحياة.^(٢٨)

كما يبدو أن الأسير يعاني من الإحساس بالفقد، والانقطاع، واليأس، وهذه من علامات الاكتئاب، ويتضح ذلك في نظرة الأسير إلى الحياة، كأنها خريف دائم، مع ذلك تظهر نزعة إيمانية لدى الأسير، تعطيه الأمل في غد مشرق قد يأتي بالفرج، وبالتالي يدرك الأسير أن عليه مهمة كبيرة في سجنه، هي التحدي الحقيقي والثبات والصمود.

النص الرابع: موسى الغول

أحبك في القنوط وفي التمني
كأني منك صرت وصرت مني
ولا أبغي بهذا الحب يوما

٢٧- أمال، بشير، الاغتراب وعلاقته بمفهوم الذات، القاهرة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨٩، ص ٢٥.
٢٨- محمد، إبراهيم عيد، مدى الإحساس بالاغتراب لدى طلاب وطالبات الفنون التشكيلية من ذوي المستويات العليا، القاهرة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨٢، ص ٢٢

ونسيم البحر يغفو والسمر

والقمر وحكايات آخر

غير أن النور أقوى يا رجاء

يبدو الإحباط واضحاً في شعر الأسير، وتظهر
رغبة لا شعورية لدى الأسير في العودة إلى أهله
وزوجته، ولم شمل الأحبة، والأسير يحاول أن
يخفف عن نفسه الألم، بأن يرسم لنفسه حياة من
الحب والسعادة التي يفتردهما، كما تظهر رغبة
جنسية لدى الأسير، وكأنه يتخيل الفعل الجنسي
نفسه، فهو يقيم محاورة من طرف واحد، وذلك
للتخفيف من حدة التوتر التي يعاني منها، ولا شك
في وجود اكتئاب يجثم على صدر الأسير، فالزوجة
هي نقطة الضعف المستمرة عند الأسير، لذا
كانت الأمنيات والرجاء من وسائل التخفيف عن
نفسه، وهو في ظلمات السجن، ويستخدم الأسير
الإسقاط كميكانزم دفاعي للتخفيف مما يعانيه
من الحرمان، فهو يدرك أنه لا يستطيع أن يذهب
إلى زوجته، ونراه يقول (فلن تأتي إلينا) كما يظهر
لدى الأسير إحساس شديد بالوحدة النفسية مما
يجعله في حالة من الاكتئاب.

النص السابع

العيش بعد الحب ضرب من جزاف

العيش بعد الحب تيه كالخراف

خذني إلى حيث المحبة والعطاء

خذني فراشا طائرا نحو الفضاء

خذني إلى وطن يكون كما نشاء

لا حرب .. لا تدمير .. لا حزن .. لا أيتام

لا شيء يقبل بالمذلة والفناء

هنا يسخر الأسير من كل شيء حتى من الحياة
نفسها، مما يزيد من مشاعر الاكتئاب لديه،
وتصبح الحياة بلا معنى وبلا مبرر، ويرى أن الهم
والممل مشترك بين الإنسان والحيوان، لأنها هكذا
الحياة، وتظهر حالة من الاستسلام لا يقدر فيها
الأسير على أي شيء، فالأسر ترك في نفس الأسير

لا بسمة .. لا زنيقة .. لا سنبله

إلا وعاث بها الجنود

سأخبئ الأشعار في بيارة منسية قرب الحدود

صمت الحواكير انفجر

الآن نصرخ في السماء وفي البشر

طفل الحجارة ينتصر

يتبين من التحليل أن الأسير يربط حالته
الانفعالية بالطبيعة التي عشقها في وطنه، وبين
أهله، ويتبين الإحباط الشديد الذي يعاني منه
الأسير، والذي قام بإسقاطه على الطبيعة التي
يصفها بأنها خريف دائم، فالتشاؤم يسيطر على
الأسير، هذه النظرة التشاؤمية جعلت الأسير
يشعر بالضياع، وبفقدان المعنى، والإحساس بتغير
الحياة الجميلة، التي كان يعيشها بين أهله، مما
يجعله في حالة من اليأس والاستسلام، وأنه مرغم
على الحياة التي أصبح فيها، وهذه من أعراض
الاكتئاب الذي يسقطه على مباحج الطبيعة،
ورغم حالة الاكتئاب والحزن، إلا أن هناك خيطاً
من الأمل يبدد به نظرتة التشاؤمية ولو إلى حين،
فبالأسير هنا مرتبط بهذه الألام الحزينة، ومنسجم
بهذا العذاب الوجداني، مؤكداً رغبته العاطفية في
الحرية.

النص السادس: وأتل السالمي

يا رجاء إن لي شوقاً إليك

أنا أهوى لو تلمست يديك

لو تحدثنا قليلاً

أو ما زلت ما زلت خجولا

يا قويا كالرجاء

يا رقيقا كالرجاء

لست أدري كيف ألقاك

فلن تأتي إلينا

لن نراك بعد في صمت المساء

أشعار الأسير، كما توجد حالة نكوص لمرحلة أو حالة جنينية، نتيجة الأفكار السوداء التي تطارد الأسير، فالشمس والبحر هي رموز إلى الأم، والأرض (غزة، رمال الشاطئ) هي الأم الحقيقية للإنسان، يعود إليها في مماته، والوطن هنا يرمز إلى المرأة الحبيبة.

وتبدو في هذه القصيدة صورة أعراض هستيرية، حيث يؤكد سامي علي: أن الأعراض الهستيرية تتكون كتعبير رمزي عن فكرة لا شعورية متخيلة، وتحقيق مقنع لرغبة مكبوتة، مثلها مثل الحلم، الذي تكون فيه الصور البصرية تجسيدا لأفكار الحلم اللاشعورية، وإشباعا لهوسيا لرغبة غير مصرح بها، وهذه تحتاج إلى شرط نفسي وهو: تحول الواقع إلى صورة خيالية يمكن أن تنصح عن نفسها عن طريق الجسم، ووظائفه المتباينة في هيئة لغة جسمية يمكن قراءتها وترجمتها على نحو ما نقرأ الحلم، وترجمته إلى معانيه، وقد وضع فرويد أن التحول وسيلة تستخدم في الهستيريا لاستبعاد الدوافع الجنسية غير المقبولة من الشعور، ونقلها إلى مجال البدن، فالتصور المؤلم تجرد عن كل شحنة انفعالية تتصل به أصلا، وتحول هذه الشحنة إلى الظواهر البدنية المختلفة، فتصرف انصرافا رمزيا في شكل اضطرابات وظيفية بحتة، فالتحول صورة مميزة للكبت في الهستيريا، وفيها يمكن أن تتبين وجود الرغبة اللاشعورية المحرمة محققة تحقيقا جزئيا، كذلك تتبين القوى اللاشعورية التي تمنع هذا التحقيق في الوقت نفسه () وقد ظهر العرض الهستيري في أشعار الأسير، وكان مرتبطا بالرغبة الجنسية غير المحققة فعليا، لكنها محققة رمزيا في صورة (يتعاق، رحمك، عفتها، لذة نشوتها، يحتضن، نهديها..الخ) وقد استخدم الأسير ألفاظا تدل على سلوك عاطفي وتعتبر مثل هذه الألفاظ تعبيرا عن المواقف الضاغطة التي عاشها الأسير ولا يزال يعيشها.

النص التاسع: سيطان الولي

تهب من وحيك خصائل شماء

شرخا عميق الأثر، سجلته أشعاره بأشجان الغربية، ووطأة الوحدة النفسية، وقسوة الحرمان من الأهل ومن الأحبة، بل أن سلوك الأسير كما يبدو من شعره، كان يخفي وراءه الاستهانة بالحياة، وشعورا عميقا بالتمزق والضياع، ويتبين من خلال الأبيات السابقة مدى استخدام الأسير لميكانزم أحلام اليقظة، وهذا يتضح من خلال أمنيات لدى الأسير في أن يعيش في وطن بعيدا عن الحرب والخوف والقتل والدمار، رغبة جارفة في أن يعيش في جو من الحرية والطمأنينة والأمان.

النص الثامن: صالح قويس

غزلتها الأيام شعاع الشمس

تمتص البحر

يتعاقن مع كرمها

والرأس حليلا يزهو فوق الكتفين

يكشف عن غزة نشأتها

كانت تحكي بين بساتين الحزن حكايتها

يا غضب الليل العابس

في رحمك ينمو فرع الصبح الآتي

فأمسح بمناديل الصبر المتوارث دمعتها

ومرارة ألم الكلمات

تخدش رنة ضحكتها

مهما طال وحل العصر المتخث

لم يسلب منها عفتها لتقرأ تاريخ المستقبل

مخطوطا بدماء شهيد يغفو فوق رمال الشاطئ

مخمورا من لذة نشوتها وهو يعانق صمت الليل

يحتضن الجسد النابض يرتشف خمرة نهديها

كانت تحكي بين بساتين الحزن حكايتها

هنا تفرغ لمحتوى اللاشعور، حيث تظهر رموز

الفعل الجنسي بصورة كبيرة، ولكن الفعل الجنسي

لم يتم في الواقع بصورة سوية، لكنه يتم من خلال

يتبين من التحليل السابق أن الشعر يساعد على التخفيف عما يعانیه الأسرى في السجون الإسرائيلية من صراعات وأعراض مرضية وبذلك يتحقق الفرض الأول.

ثانياً: نتائج التحقق من الفرض الثاني وينص على ما يلي:

يمكن اعتبار الشعر تخفيفاً لما يعانیه الأسرى من صراعات وأعراض مرضية من وجهة نظر التحليل النفسي.

يقول كولردج إن مهمة الأديب هي تجسيد تجربته في رموز، وأن مهمة الشاعر لا تقتصر على ترجمة أفكاره إلى لغة الشعر، بل في تجسيد هذه الأفكار في رموز تعادلها تماماً، بحيث يتعدى انفصال إحداها عن الأخرى^(٢٩) والشاعر عندما ينظم قصيدة إنما يبدأ بالعودة على الملاحظة الدقيقة في كل شيء مما يحيط به في الحياة، ويعي دقائق ما يحس به جملة وتفصيلاً، ويسجل كل ما يشاهده بدقة في ذاكرته، ويأخذ في الغوص في أعماق النفس وأغوار الذهن، ليقف على التفاصيل، ويسترشد بالإلهام، ويطلب دلالة الرؤى والأحلام والخيالات والمشاعر، ناسياً وجوده المادي، مندمجاً في الأفكار والعواطف والمعاني الروحية منطلقاً بخياله في السماء والأرض، والماضي والحاضر والمستقبل، فينسى ما في الحياة من آلام، ويسعد بنشوة الاستغراق التام، الذي يكون فيه شعوره بالنشوة، وبلذة التعبير عن النفس، وكشف الغامض من دنيا الخيال، والشعور وكأنه يفجر ينبوعاً من القوة الباطنية تنعش كيانه كله، فمادة الشعر تكون في العواطف المكبوتة، والحزن والحب، والتفاؤل والتشاؤم، والدهشة والحرمان والخيبة، وهي عواطف راسية في حياتنا النفسية، فالشعر كما يعرفه البعض هو حديث الذكريات^(٣٠)

يتضح أنه عن طريق العمل الفني أو الأدبي وخاصة الشعر، يمكن أن ينفس الفرد عن رغباته

تمسح عن جبيني زمانا تمزق

وتلقي بين وهادا من الدجي

مثلوما لا يتورق

بالأمس يا أم سكبوا دمي شلالا على سقمي

وسكبت دمي نهرا على أرضي

وداويت بوحى قلبك عطش كبدي

أعيدي جمع أشلائي أعيدي لم أوصالي

بخيط مجدول من رقائك شعرك

بالأمس يا أم أقعدت من الألم

وسحلت فوق التراب

ومن موت إلى موت

فما سمعت إلا غزارة نبضك في الصمت

وما لمست في البرد إلا حرارة دفتك

لا تتركي صدري عاريا

وشدي حول عنقي طيفا من وصلك

وضمي أوتار صوتك فوق حنجرتي

مما لا شك فيه أن تجربة الأسر شديدة الوقع على نفسية الأسير، قاسية حية متجددة، تحطمت آماله بداخلها، فانساب إلى نفسه مشاعر الحسرة والألم والرجاء، فالأسر تجربة جديدة بالنسبة للأسير، لها وقعها الخاص، إذ أنها تمثل لديه قمة الحرمان والعجز، تتجسد فيها معاني الصراع، صراع مع النفس، وصراع مع السجن، وتبدو لدى الأسير معاني الانعدام الطبيعي لمشاعر التلاؤم والتكيف، لتفيض أشعار الأسير بوصف السجن وعذابه، والمسجون وآلامه، وهي أمور متداخلة في أغلب الأحوال، والموت أحد الأسباب في إحساس الأسير بالغرابة المكانية، وتبدو رغبة الأسير في التوحد بالأم، وهذه الرغبة نابعة من التعلق الأوديبى لدى الأسير بأمه، وفي هذا استخدام ميكائيزم النكوص، حيث تبدو رغبة الأسير واضحة في العودة إلى أحضان أمه.

٢٩- محمد، خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، ص ١٢.
٣٠- محمد، عسلي، الدلالات النفسية للخيال الرمزي في النص الأدبي من منظور التحليل النفسي، ص ٩٢.

- علاقة الأسير بالغير وتظهر كما يلي:
- العلاقة العامة: وتسيطر عليها الكراهية للسجان والسجن، وعدم القدرة على التكيف معهما.
 - العلاقة الخاصة: وتشمل علاقة الأسير بأهله، وهي تتسم بالحزن والأسى لانقطاع أسباب الود والرحمة، ووجود مشاعر القسوة والإذلال له من سجانيه.
- ويمكن القول أن الأسير يحمل قلبا يفيض حبا للآخرين، فعلى الرغم من الانقطاع القهري لعلاقة الأسير بأهله وأحبائه، وعلى الرغم من مشاعر الحسرة والإذلال التي يحس بها بفعل سجانيه، إلا أن مشاعره تظل قوية تجاه أهله وبلده.
- الصراع الأوديبى حيث يظهر هذا الصراع واضحا في أشعار الأسرى كنتيجة لتعلق الأسير بأمه التي طالما يناجها، ويستنجد بها، والصراع الأوديبى هنا بنوعيه (الطفل- الوالدان) و(الوالدان- الطفل).
- تظهر الرغبة الجنسية لدى الأسرى بشكل رمزي.
- تظهر في أشعار الأسرى المازوخية بشكل كبير.
- كما تظهر بعض الأعراض الهستيرية في أشعار الأسرى.
- وأخيرا تبدو مظاهر الاغتراب بأنواعه لدى الأسرى، ويغلب عليها الاغتراب العاطفي والمكاني ثم السياسي والاجتماعي والنفسي.
- هذه الخصائص التي يتميز بها شعر الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، والتي تم استنتاجها، تمثل العقل الجمعي للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، بغض النظر عن مكان السجن.
- استخدام الأسرى للعديد من الميكانزمات الدفاعية وأهمها: أحلام اليقظة، والتبرير، والنكوص، والإنكار.. الخ.

المكبوتة، وكأنما يقوم بعملية التطهير الانفعالي، ويرى الباحث أن كثيرا من الإبداع في الشعر، إنما يعبر عن انفجار يحدث في الحياة اللا شعورية لرغبات مكبوتة لم ينجح الرقيب في كبتها، حيث إن ميول الموجود البشري، ورغباته الدفينة، وميوله الجنسية غير المشبعة، لا بد لها من مخرج، ولما كان من الصعب التعبير عنها في الواقع، فإنه يمكن التعبير عنها فيما يكتبه الفرد من الشعر، أو غيره من ألوان الإنتاج الفني والأدبي، من هنا يمكن القول بأن الشعر يساعد كغيره من أنواع الأدب والفن في التخفيف مما يعانيه الأسير من صراعات وأعراض مرضية.

خلاصة النتائج:

- بعد تفسير وتحليل القصائد الشعرية السابقة تم التوصل إلى عدة استنتاجات يمكن إجمالها في الآتي:
- الأسير الفلسطيني لديه قدرة على إدراك الواقع الذي يعيش فيه، وإدراكه بأن الأسر أمر طبيعي في ظل التصدي للاحتلال الصهيوني الذي يحاول كسر إرادة المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطيني كافة.
 - المشاعر النفسية هي جوهر الإنسان، وهي المحرك الحقيقي لكل أفعاله، ولغته هي الكشف الرئيس لهذا الجوهر، وتتجدد أهمية هذه اللغة بنوع العلاقة التي يقيمها الأسير مع الأشياء وبمستوى هذه العلاقة التي تكشف التجربة الشعرية التي يخوض غمارها.
 - البكاء والألفاض اللازمة له هو أكثر الأدوات شيوعا في مجال الحزن، ويأتي هنا للدلالة على الحرمان والأسى والنظرة المستقبلية المتشائمة، كما يرد أحيانا للدلالة على الندم واليأس.
 - الحب والألفاض اللازمة له ترد في شعر الأسرى بشكل كبير، وتأتي هذه الألفاض للدلالة على الاغتراب العاطفي، والشعور بلوعة الحب والحرمان والشقاء، وهي إحدى مسببات الإحباط المستمرة التي يعاني منها الأسرى.

حسن، نصار، ديوان جميل شاعر الحب العذري، ط ٢، القاهرة، مكتبة مصر، القاهرة (١٩٦٧).

حسين، سرمك حسن، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد، الرياض، جريدة الاتحاد، (٢٠٠٧)، ص.ص ٢-٩.

داود، سلوم، يزيد بن مفرغ الحميري: شعره، بغداد، مطبعة الإيمان، (١٩٦٨).

صلاح، عجينة، سيكولوجية الأدب: الواقع والمآهية، الرياض، صحيفة المرصد الإعلامي الحر، المركز الإقليمي للدراسات الإعلامية وتواصل الثقافات، (٢٠٠٥)، العدد ٥٥، ص.ص ١-٤.

عبد، بليغ، العد النفسي لمنشأ الطبع والتكلف في الشعر بين النقد والتحليل النفسي، (٢٠٠٧)، ص.ص ١٠-١٨.

عدنان، المبارك، نيتشه: إدراك العالم بالرموز شرط الفن العظيم، جريدة الزمان، العدد ١٢٩٣، (٢٠٠٣)، ص.ص ١-٥.

عزالدين، إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ط ٤، القاهرة، مكتبة غريب للطباعة، (١٩٧٧).

عصام، بهي، اتجاهات النقد العربي الحديث، القاهرة، مجلة فصول، المجلد ٧، العدد ٣-٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٩١)، ص.ص ١٣٣-١٤٨.

فايز، أبو شمالة، رياحين بين مفاصل الصخر، غزة، فلسطين، إصدار جمعية الأسرى والمحربين، (٢٠٠١).

فرج، أحمد فرج، التحليل النفسي والقصة القصيرة، مجلة فصول، المجلد ٢، العدد ٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٣)، ص.ص ١٦٨-١٧٧.

فرج، أحمد فرج، التحليل النفسي للأدب، دراسة في تحليل محتوى قصة ليلي والذئب، مجلة فصول، المجلد ١، العدد ٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٢)، ص.ص ٢٦-٣٥.

التوصيات: توصي الدراسة الحالية بما يلي:

- ضرورة الاهتمام بعقد مسابقات فنية وأدبية سواء في الشعر أو كتابة القصة القصيرة للأسرى لما لهذه المسابقات من دور في تفرغ الرغبات المكبوتة.

- ضرورة عقد دورات وورشات عمل تثقيفية في علم النفس والأدب على حد سواء لكافة الأسرى.

- ضرورة تشجيع المرشدين والأخصائيين النفسيين على الاهتمام بالبلاغة والدلالات النفسية للنصوص الأدبية والأعمال الفنية، لأنها تعد طريقا هاما لمعرفة ما يدور في نفس الإنسان من صراعات.

في ضوء ما سبق يقترح الباحث إجراء دراسات وبحوث في:

- التحليل النفسي لأشعار الأسرى في السجون الإسرائيلية المختلفة.

- دراسات نفسية تحليلية للأسرى من خلال أعمالهم الفنية في سنوات مختلفة.

المراجع:

أمال النور، حامد، الزار: دراسة سيكوفسيولوجية: الرمزية من منظور التحليل النفسي، السودان، مجلة الأبحاث والأنثروبولوجيا السودانية، العدد ٤، جامعة الخرطوم، (٢٠٠٥)، ص.ص ١٠-١.

أمال، بشير، الاغتراب وعلاقته بمفهوم الذات، رسالة دكتوراه، القاهرة، كلية التربية، قسم الصحة النفسية، جامعة عين شمس، (١٩٨٩) أحمد، رشدي صالح، الأدب الشعبي، القاهرة، مكتبة النهضة، (١٩٨٥).

جان- بيلمان، نوبل، التحليل النفسي والأدب، ترجمة: حسن المودن (١٩٩٧)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

- محمد، سويتري، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، الكويت، مجلة عالم الفكر، م ٢٨، ع ٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (٢٠٠٠)، ص.ص ١٢٥-١٦٩.
- محمد، عبد الوهاب، التحليل النفسي للأدب الشعبي، رسالة ماجستير، القاهرة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، (١٩٩٢).
- مصري، حنورة، مصري، الدراسات النفسية للإبداع الفني، منهج وتطبيق، القاهرة، مجلة فصول، المجلد ١، العدد ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٢)، ص.ص ٣٦-٥٠.
- مصطفى، سوييف، الأسس النفسية للإبداع الفني، ط ٣، القاهرة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (١٩٥٩).
- مها، محمد الكردي، تطور مفهوم الرمزية، رسالة دكتوراه، القاهرة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، (١٩٨٧).
- فرج، أحمد فرج، التحليل النفسي والأدب، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (١٩٩٠).
- فريال، محمد فرج، في التحليل النفسي للأساطير، رسالة ماجستير، القاهرة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، (١٩٨٤).
- محمد، إبراهيم عسلي، الدلالات النفسية للخيال الرمزي في النص الأدبي من منظور التحليل النفسي، غزة، فلسطين، مجلة جامعة الأقصى، عدد خاص، الجزء الثاني، (٢٠٠٦)، ص.ص ٧٤-١٠٢.
- محمد، إبراهيم عيد، دراسة مدى الإحساس بالاعتراب لدى طلاب وطالبات الفنون التشكيلية من ذوي المستويات العليا، رسالة ماجستير، القاهرة، كلية التربية، قسم الصحة النفسية، جامعة عين شمس، (١٩٨٣).
- محمد، خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، (١٩٩٥).